الزهر الفياح

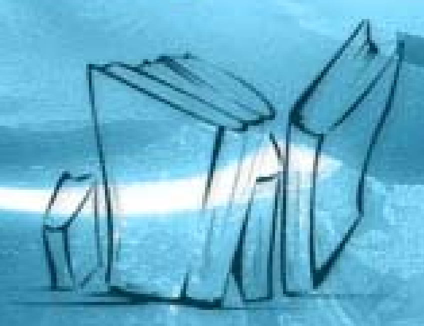
قوت القلوب وغذاء الأرواح

محبة الله جلَّ وعز وعلاماتها

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى واهب المنن. الهادي إلى الطريق السنن. وأصلي وأسلم على النبي الهادي، والصوت الحادي، إلى المحاسن والمراضي، ثم على آله وصحبه الأمجاد، ومن ائتم بهم إلى طرق الرشاد.

وبعد:

أخي المسلم: الكل همه تحصيل لذاته وما تتلذذ به النفس من المحسوسات! ولا يقف الحال بالمخلوق عند حاجته من اللذات بل يتجاوز ذلك إلى الإسراف والتبذير!

أخي: ما أجهل هذا الإنسان بمصالحه وما ينفعه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم]، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب].

أخي: هذه الحجب هي التي حجبت النفوس عن الغاية التي خلقت من أجلها! فركضت خلف السراب.. وسعت في تباب..

وقليل أخي أولئك الذين يدركون المطالب السامية.. والغايات الشامخة.. أخي ما أبعدنا عن اللذات الحقيقية.. وما أضلنا عن الحياة الهانئة السعيدة!!

أخي في الله: ما أكثر المحبوبات للنفوس.. ولكن أخي أين يقع حب الفاني من حب الباقي؟! أم أين يقع حب المصنوع من حب الصانع؟! أم أين حب الضعيف من القوي؟!

وإلا أخي فردد معي قول الإمام ابن الجوزي: «وكيف لا أحب من أنا به، وبقائي منه، وتدبيري بيده، ورجوعي إليه؟! وكل

مستحسن محبوب هو حسَّنه، وعطف النفوس إليه، فذلك الكامل القدرة أحسن من المقدور والعجيب الصنعة أكمل من المصنوع..».

أخي في الله: تلك هي الغاية التي رفع لها المخلصون رؤوسهم.. محبة الله عز وجل.. «وهل المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفاني المحبون وبروح نسيمها تروَّح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام..» **[الإمام ابن القيم]**.

أخي المسلم: لعل نفسك تشتاق إلى معرفة المحبة وحقيقتها وها أنا ذا أعرفك بحدودها، فكن منها أخي على دراية وعلم.

قال سهل بن عبد الله: هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة.

وقالوا: «الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته والحرية من استرقاق ما سواه».

وقالوا: «المحبة سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام» قال الإمام ابن القيم: أما سفر القلب في طلب المحبوب فهو الشوق إلى لقائه وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئًا أكثر ذكره.

وقالوا: «توحيد المحبوب بخالص الإرادة وصدق الطلب».

وأتحفك أخي بهذه الكلمات الرائقة في تعريف المحبة.. وهو تعريف حكيم أريب.. وناطق مُصيب.. قال: «إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص، ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى، لا يزال سعي المحب صاعدًا إلى حبيبه لا يحجبه دونه شيء ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾.

أخي المسلم: إن من أعظم الثمار التي تجنيها من شجرة المحبة، أن يحبك الله تعالى.. فآه لها من درجة.. فيا لسعادة نائليها.. ويا لَنُجْحَ مقتنصيها.. هنالك حيث الأقدام زلت.. وتعبت في الوصول إليها وكلَّت.. ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[آل عمران]**، قال ابن القيم: وهي تسمى آية المحبة.

قال أبو سليمان الداراني: «لما أدعت قلوب محبة الله أنزل الله لها محنة ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ..** ﴾.

أخي المسلم: أتدري ما هو صدق محبة الله عز وجل سبحانه؟ فلا تقصرن أخي أن تعيش معي هذه النفحات عسى أن تكون من الأحباء المحبوبين.

أخي ما أسهل الأدعاء.. وما أهون الدعوى بدون بينة.. أخي فإن للمحبة دلالات وعلامات يعرفها الصادقون من أنفسهم.. ويدركها العارفون في أنفاسهم.. فقف معي أخي عند علاماتها..

ولك شيء أخي علامات تقود إليه.. وإن أردت أخي أن تعـــرف علامات محبة الله تعالى، فها أنا أتحفك بها.

منها: حب لقاء الله تعالى في جنانه العاليات ورضوانه الأكبر.

ومنها: أن يحب ما أحب الله تعالى، أما رأيت أخي كيف ارتفعت درجة المتحابين في الله إذ أن الله يحب أولياءه، ومن أحبهم فقد أحب الله تعالى، قال ﷺ: «**قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر مـــن نور يغبطهم النبيون والشهداء**» [رواه الترمذي].

ومنها: أن لا تعصيه تعالى في أمره ونهيه.

تعصـــي الإلـــه وأنـــتَ تـــزعُمُ حبَّـــه
هـــذا لعمـــري في القيـــاس شـــنَيعُ
لـــو كـــان حبُّـــكَ صـــادقًا لأطعمتَـــه
إنَّ المحـــبَّ لمـــن يحـــبُّ مُطيـــعُ

ومنها: حبه لكلامه تعالى وتلاوته والأنس بمناجاته وذكـــره.. قيل لعامر بن عبد قيس: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حـــديث أحب إلي من القرآن حتى أشتغل به؟! وكان مسلم بـــن يســـار لا يلتفت في صلاته، حتى انهدمت ناحية من نواحي المسجد فزع لهـــا أهل السوق فما التفت.

ومنها: ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَـــدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـــهُ أَذِلَّـــةٍ عَلَـــى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة].

أخي المسلم: قف معي على هذه الربوع الزاهرة من كلام النبي الطاهر ﷺ لتدرك عظمة المحبة وجزاء المحبين، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنواقل حتى أحبه، فإذا أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»** [رواه البخاري].

«وقد قيل إنه أشرف حديث روى في ذكر الأولياء» **[الإمام ابن رجب]**.

أخي في الله: «فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فأوجب له ذلك القرب منه والزلفى لديه والحظوة عنده...» **[الإمام ابن رجب]**.

أخي: وهذه بشارة أخرى أسوقها لك.. لتعلم منزلة المحبين.. ومقام المخلصين.. قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض» **[رواه البخاري ومسلم]**.

أخي المسلم: ما أعظم جزاء المحبين.. وما أعلى مقام العارفين.. وما أسعدهم بذكر رب العالمين.. ورسول وحيه الأمين.. وملائكته المقربين. فأكرم بصاحب هذا المقام.. وأنعم به أي إنعام.. فآاااه ثم آااه من غفلة النُّوَّامْ!!

أخي: «من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونًا فكيف إذا لم يحصل له إلا نزر يسير حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة»!

من فاته أن يراك يومًا فكل أوقاته فواتُ
وحيثما كنت من بلاد فلي إلى وجهك التفاتُ

[الإمام ابن رجب]

أخي في الله: هم أحباء الله «أجابوا منادى الشوق إذ نادى بهم حيَّ على الفلاح، وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم كان بذلهم بالرضى والسماح، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح، تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم، وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح» **[الإمام ابن القيم]**.

أخي: محبة الله طاعته واتباع نبيه ﷺ، فهي أنس العابدين.. ولذة العاكفين.. وسناء المنيبين.. وشَهدْ الذاكرين.. امتثلوا أوامر المحبوب.. وذلت رقابهم لواهب الموهوب..

قال الإمام ابن الجوزي: «تأملت قوله تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ فإذا النفس تأبى إثبات محبة للخالق توجب قلقًا وقالت: محبته طاعته».

«ولما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوة فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخَليُّ حُرْقة الشَّجى فتنوع المدعون في الشهود فقيل: لا تقبل هذه الدعوة إلا ببينة ﴿ **قُلْ إِنْ**

كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.. ﴾ فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه..» **[الإمام ابن القيم]**.

أخي المسلمن: لعلك تطمح لمعرفة طريق القوم.. وكيف نالوا هذا المقام.. فقد آتت أخي الساعة التي تعلم فيها السبيل الموصل إلى دار المحبوبين.. وجنة العارفين.. وها أنا أخي أهدي إليك عشرة أنجم زاهرات تدلك على طريق القوم.

أخي المسلم: من الأسباب الجالبة للمحبة:

أولها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه.

ثانيها: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصل إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

ثالثها: دوام ذكره تعالى على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال.

رابعها: إيثار محابه على محابك عند غلبة الهوى.

خامسها: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة، فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

سادسها: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته.

سابعها: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

ثامنها: الخلوة به في وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه، والوقوف بين يديه بأدب العبودية، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

تاسعها: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر.

عاشرها: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل **[الإمام ابن القيم]**.

أخي في الله: هذه العشر أسباب هي قائدك إلى باب المحبة.. فاجعل منها أخي زمامًا يقودك إلى الطريق الصحيح في محبة الله تعالى.. حيث وقفت أخي المحبون.. واصطفَّ الصالحون.. فما أنفسها من صحبه.. وما أحلاها من رفقه..

أخي: هل سمعت بلذة المحبين؟.. أم هل سألت العارفين؟

قال فتح الموصلي: «المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذة ولا يغفل عن ذكر الله طرفة».

وقال محمد بن النضر الحارثي: «ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله عز وجل وما يكاد يسأم من ذلك».

وقال بعضهم: «المحب لله طائر القلب كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل دوبًا دوبًا وشوقًا شوقًا».

أخي في الله: «فإذا رجع كمال النعيم في الآخرة وكمال اللذة إلى العلم والحب فمن كان بالله وأسمائه وصفاته ودينه أعرف كان له أحب وكانت لذته بالوصول إليه ومجاورته والنظر إلى وجهه وسماع كلامه أتم وكل لذة ونعيم وسرور وبهجة بالإضافة إلى ذلك كقطرة في بحر. فكيف يؤثر من له عقل لذة ضعيفة قصيرة مشوبة بالآلام على لذة عظيمة دائمة أبد الآباد» **[الإمام ابن القيم]**.

أخي: اسمع معي إلى قول النبي ﷺ وهو يخبرنا عن هذه اللذة التي يجدها الصادقون.. قال ﷺ: «**ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» **[رواه البخاري ومسلم]**.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: «إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها» **[الإمام ابن حجر]**.

أخي: «هذا حديث عظيم وأصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته..» **[الإمام النووي]**.

أخي المسلم: ما أسعد المحبين بمحبوبهم.. وما ألذ عيش الطالبين بمطلوبهم.. نهارهم شموسه المعرفة.. وليلهم أقماره المحبة.. لزموا باب محبوبهم ففازوا بالدرجات.. وزهدوا في الخلق فنالوا الكرامات.. هم القوم لا يشقى جليسهم.. والركب لا يضل رفيقهم..

كان ذو النون رحمه الله يردد بالليل كثيرًا هذه الأبيات:

اطلبُوا لأنفسكُم مثل ما وَجَدتُّ أنَا
قَد وَجَدتُّ سكنًا ليسَ في هَواهُ عَنَا
إنْ بَعَدتُّ قَرَّبَني أو قَرُبْتُ منْهُ دَنَا

أخي: «إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة» **[الإمام ابن القيم]**.

أنشد بعض السلف:

وُكنْ لربِّكَ ذَا حبٍّ لتَخْدمَه إنَّ المحبينَ للأحباب خُدَّامُ

أخي المسلم: أين أنت من أولئك المحظوظين.. الممدوحين من رب العالمين.. فما أهناهم بذاك من بشارة.. وأزينهم بها من شاره..

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ **[التوبة: ٤، ٧]**.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ **[الحجرات: ٩، الممتحنة: ٩]**.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ **[البقرة]**.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف]. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران].

أخي في الله: أولئك المحظوظون المحفوظون من كيد الشيطان لا سبيل له إليهم «قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾.

وقال في حق الصديق يوسف ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [الإمام ابن القيم].

أخي في الله: ما أحصن حصن المحبين.. حراسة ملائكة غلاظ شداد.. مددهم وعونهم من ملك الملوك، فلا غرابة أن ينصرف المحبون بقلوبهم عن الدنيا وأهلها.

أخي: وأي غرابة في ذلك وهم الفائزون بالغاية القصوى.. والأمنية العظمى.. ليلهم نهار.. ونهارهم ضياء..

قيل لبعض العارفين: أنا لنوسوس في صلاتنا. قال: بأي شيء بالجنة أو الحور العين والقيامة؟ قالوا: لا بل بالدنيا. فقال: «لأن تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك!».

فانظر أخي لنفسك فإنك لن تجد كنزًا أغلى من محبة مولاك سبحانه وتعالى..

وعند الصبح أخي يحمد القوم السُّرى،،،،،